

رسالة ملكية إلى المشاركين في أشغال المناظرة الأولى حول التعليم الموسيقي

وجه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني رسالة سامية إلى المشاركين في
المناظرة الأولى حول التعليم الموسيقي التي انعقدت بالرباط أيام 5 و
6 و 7 ماي 1994.
وقد تلا الرسالة الملكية السيد محمد علال سيناصرو وزير الشؤون
الثقافية خلال حفل افتتاح المناظرة.
وفي ما يلي نص الرسالة الملكية.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه
حضرات السيدات والسادة

إننا سعداء أن تتم هذه الندوة في كنف رعايتنا ومغتبطون أن يلتزم هذا الجمع
بمملكتنا وقد تهيأت لنا أسباب تقييم تراثنا الموسيقي وقررت عزيمتنا على بعثه
وتوسيعه وترسيخه، ذلك أن التراث عموما والتراث الموسيقي خصوصا هو ودبعة
استردعنا إياها أسلافنا المتصمون فيجب علينا المحافظة عليها وإغناؤها حتى تراثها
من بعدنا حية نابضة كل الأجيال المتعاقبة. فالمحافظ على الودائع من شيم النفوس
الأبية والهمم العالية وهذا أمر يهتم به العالم المعاصر في اتجاهاته المختلفة
لاهتمامه بالتراث البشري الهائل الذي نجد له في كل قطر من أقطار العالم ظلالا من
ظلال جناحه. وإذا كان المرء يكتشف سمو فكر المرء بقدر ما يتسامى فكره هو فإن
هذه الحقيقة أصدق بالنسبة للشعوب وأجدر بها حينما تتخذ من تقديمها في العلم
وسيلة لتثمين الابتكارات والإبداعات التي ارتقت إليها أمم من قبلها.
ولاغرو أنكم في هذا البلد الأمين تشعرون بما نوليه لفتن الموسيقي من عناية
خاصة ولرجالها من حظوة بالغة ورعاية موصولة نظرا لأهميتها في ثقافتنا الوطنية
وفي الثقافة العربية الإسلامية عامة. لذلك قاتنا نحث النخبة النيرة من الأساتذة
والمهتمين بهذا المجال على مواصلة الجهود لبلوغ النتائج التي من شأنها تحميم
أساليب التلقين ورفع مستوى التعليم والسهر على جودة التكوين الموسيقي العام

في مجالات التلحين والعزف والأداء والتأليف وغيره، ويسعدنا أن تحتضن المملكة المغربية هذا اللقاء الذي نأمل أن يستفيد من مختلف المشارب ومتعدد المواهب وأن تكلل أعماله بالتوفيق والنجاح حتى يساهم في إبراز ما عرفت به مملكتنا التي بوأها الله موقعا وسطا وجعلها حلقة وصل بين الشرق والغرب والشمال والجنوب وأرض تسكن وجوار وثقاهم ولقاء بين جميع الثقافات والحضارات.

حضرات السيدات والسادة

من المعطيات الجديدة بالنسبة أن تكون فنون الموسيقى لغة للتواصل بين الأمم والشعوب وأن تتجاوز رسالتها هذه إلى إظهار التكامل الذي أبدعته مشيئة الخالق عز وجل، فجعلت في الكون المقدار الملائم من معايير الأشياء والتجانس التام في خاصيات الأجرام والتناسق في مميزات الأصوات بما دفع القديماء إلى اعتبارها مبدئا من اختصاص الراسخين في العلم والعارفين به وتلك فكرة أقرها مفكرو الإسلام ربهموا على أن لكل صوت نغمة تصنعه وهيئة تخصه ونبرة تميزه، وقالوا في تفسير قوله عز وجل «يزيد في الخلق ما يشاء» إنه الصوت الحسن.

فقد استقطبت الحضارة العربية الإسلامية الأهمية الشاملة لهذه الفنون التي تؤثر في المرء، كما قال ابن رشد أكثر من الخطابة والبرهان وتحشه على الشجاعة والاعتدال، فجعلت لكل حالة لنا خاصا بها ولكل ساعة من ساعات النهار نغمة معينة لها وظهر الولع بنظرية متكاملة حول تأثير هذه النغمات وعلاقة الطبع الموسيقية المعروفة بالطباع البشرية والحالات النفسية والمشاعر المحددة وظهر أن الاستهلال مثلا يحث على الشجاعة والإقدام فيما تميز الاصبهان بنغمته الرقيقة حتى قيل علائكة الرحمان يسبحون بالاصبيان.

وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى العمل الجليل الذي قام به مفكرو الإسلام في بحثهم عن أكرم السبل لعلاج الأمراض النفسية والعقلية كالكندي والفارابي وابن سينا وابن باجة وغيرهم وتميز المغرب بتحقيق هذه الفكرة الوفيعة في مارستان مراکش ومارستان سبدي فرج بفاس حيث كانت الموسيقى من وسائل التطبيب وأساليب الترفيه على المرضى واستمر العمل بها على هذا الشكل الناجع طيلة انعصور الثانية كما اتخلت غودها يحتذى به في الميدان الذي أصبح اليوم بابا من أبواب الدراسات النفسية والطبية المتقدمة.

حضرات السيدات والسادة،

دخل الإسلام إلى المغرب وأخذ أهله كما هو معروف بمذهب الإمام مالك واتبعوا عمل أهل المدينة فوجدت تقاليد الغناء المتسمة بسماحة أهل الحجاز تبرلا لدى المغاربة واستحسنانا عند مختلف فئاتهم لما عرفوا به من تفتح صوب الرقة والحسن علوما كانت أو صنائع أو فنونا لا سيما صناعة الموسيقى والغناء التي هي مرئاد السمع ومرتع النفس وربيع القلب فتواحت وامتزجت تقاليد الغناء الوافد من تصب وجداً وهزج بالعادات المحلية القديمة وأصبح الكل يؤدي وظائفه في مختلف المناسبات الاجتماعية ثم ظهر مع مرور الزمن النوع المغربي الخالص المعروف بالسماع واقترن ظهوره بالمناسبات الدينية وأعظمها مناسبة إحياء المولد النبوي الشريف، وقد تجلت مهارة الفنانين المغاربة وابتكاراتهم فيه طيلة الحقب والعصور. وإلى جانب ذلك، كان تأليف الموسيقى وتلقينها دائماً من مظاهر الحركة الفكرية والثقافية في بلادنا ويكفي أن نشير إلى ما ألفه ابن باجة المتوفى بغاس في عصر المرابطين وابن طفيل بمراكش على عهد الموحدين وابن الدراج السبتي في العصر المريني والمنجور في العهد السعدي. ثم ازدهرت هذه الحركة المباركة أينما ازدهار في ظل أجدادنا الميامين الذين اكتفروا برعايتهم وهينوا لها من التشجيع والعناية ما يذكر فيحمد واشتهر بالتدوين والتأليف على سبيل المثال عبد الرحمان الفاسي صاحب الاقتوم وأبو الحسن البوسي مؤلف القانون والبوعصامي جامع إيقاد الشوم والفقيه الحايك التطواني الذي تدين له موسيقى الآلة بحفظ تراثها إلى يومنا هذا وأتى بعدهم كما هو معلوم الفقيه المطيري والفقيه الجعيدي والفقيه البرهيمي وغيرهم ويكفي المغرب فخراً توفيقه بين العلم والفن والدين وأن شيوخ الموسيقى المغربية كانوا في الوقت ذاته علماء فقهاء.

وقد بلغ من ثراء الموسيقى المغربية أنه أصبح من العسير حصر أنواعها وأشكالها تفصيلاً وإجمالاً حيث نجد أصنافاً من الموسيقى التقليدية الغنية تعبر عن اهتمام المغاربة بالبناء الفني وتنسيق الأنغام والإيقاعات. فنجد في الموسيقى الشعبية أنواعاً تتميز بها الأنماط اليدوية الأمازيغية كأحيدوس وأحواش وأغانى الروايس وأغانى الريف والأنماط اليدوية المعربة كمختلف العبيطات وموسيقى مناطقنا الصحراوية العروقة يشرانها وتنوعها كما يجب التنبيه إلى دور الموسيقى

الأندلسية والسماح والمديح عند رجال الزوايا والصوفيين الذين اعتمدوها وسيلة من وسائل التربية الروحية والجمالية والذوقية وقد كان لتلك التقاليد العريقة أثر على مختلف المدارس الموسيقية منها المدرسة العبرية التي استعملت شعر ابن جبريل فكان له تأثيره الواضح الذي بلغ جبال البراتيس بل واجتازها إلى ما وراء ذلك. فالموسيقى المغربية تأخذ وتستحيط وتجهد وتتأثر وتؤثر منذ العهد القديم إلى اليوم حيث ما فتئت تتطور وتتطور المحيط الوطني والعام شأنها في ذلك شأن أنشطتها الثقافية العامة التي يطعمها ويغنيها عنصر الانسجام داخل التنوع ومبدأ الوحدة في إطار التعددية.

حضرات السيدات والسادة

ومن أجل هذا عملنا على تأطير العمل الفني بإحياء مهرجاناته ودعم ملتقياته والتركيز فيه على مميزات كل جهة من الجهات فأصدرنا أوامرننا لإقامة مراكز جهوية لدراسة التقاليد الشعبية والفنون الموسيقية وتوثيقها بمختلف الوسائل السمعية والبصرية حفاظا منا على التراث الموسيقي الوطني وتشجيعا على الخلق والإبداع مع المحافظة على هويتنا الموسيقية وعدم الانسياق وراء التيارات المبتذلة العابرة وإنطلاقا من تربيتنا الموسيقية الأصيلة التي تعتمد على سائر ألوان وغايات هذا التراث فبان باستطاعتنا أن نلج المعاصرة دون تناقض مع ماضينا المجيد والحافل.

إن إيماننا بتدرة المغرب على الاستمرار في الأخذ والعطاء وفي التبادل الذي ميزه وضمن له بين الأمم والشعوب المتحضرة وجرده مرموقا يجعلنا نعتبر الفنون الموسيقية ميدانا نموذجيا للنمو الثقافي الشامل الذي نسعى إليه ونجتهد لتحقيقه وهذا هو المبدأ العام الذي استرشدناه عندما أصدرنا تعليماتنا لوزارتنا في الشؤون الثقافية من أجل وضع برنامج يعالج قضايا التعليم الموسيقي من خلال تشخيص أوضاعه ودراسة حالة الأطر الساهرة عليه من معلمين وأساتذة ومربين والتنسيق في هذا القطاع مع قطاعات التربية الوطنية والشبيبة والرياضة والجمعاعات المحلية.

وتقتضي هذه المسؤولية الملقاة على عاتق الوزارة الوصية على الفنون وشؤون الفنانين بالدرجة الأولى تزويد جميع مؤسسات التربية الموسيقية بالأطر الجيدة الكفأة من أجل ذبوع الثقافة الموسيقية وتوفير وسائل التعريف بفنونها وتدريبها

في المعاهد العليا المعدة لرفع مستوى المكونين والمبدعين. وفي هذا الإطار يجب ضبط المراحل والأهداف وإعطاء قضية إصلاح المعهد الوطني للموسيقى ما تستحقه من عناية وأولوية وإتمام البناية اللاتمة به بالتعاون بين الوزارة المعنية وولاية الرباط والجماعات المحضرية بها حتى يرتقي هذا المعهد إلى درجة معهد عال للفنون الموسيقية.

حضرات السيدات والسادة،

هكذا نكون قد فتحنا مجالات جديدة لتحريك الفنون ونشر تعليمها للناشئة والسهر على الجودة وتميزها كما نكون قد وضعنا الأسس اللازمة من أجل اختبار مناهج حديثة وإثارة المواهب وتشجيع المتبحرين والمبدعين والشعراء والملحنين والعازفين والمقننين والنقاد والمستمتعين أن العمل الفني الجاد الرصين جدير بكل دعم وسند في عهد السمعييات البصرية وتطوراتها المستمرة وتوجهات الاختصاصات الفنية المتباعدة ونحن واثقون من أننا قادرون على الاستيعاب والابتكار والخلق والإبداع في ميدان قال عنه الحكيم الصيني كونغوشيوس: «إذا شئت أن تقف على ما بلغته الأمم في مضمار الحضارة فأنصت إلى مرسيقاها». لذلك نبارك لكم هذا الملتقى وندعو له بكامل التوفيق. أعانكم الله وسدد خطاكم وأنجح أعمالكم وقل اعملوا فسيروا الله عملكم ورسوله والمؤمنون صدق الله العظيم. والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.